مجلة متيجة للدراسات الإنسانية
المجلد 10 العدد 02 الشهر 12 السنة 2023 ISSN: 2602-5639 - EISSN: 2830-8972

طوبونيميا تلمسان ودورها في كتابة التاريخ السياسي للمنطقة

The toponymy of Tlemcen and its role in writing the political history of the region

د. فاطمة حجاري

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية –وحدة تلمسان

hadjarifatima07@gmail.com

د. أنوار بن شوك

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية –وحدة تلمسان-.

benchouk.anouar@gmail.com

ملخص:

يستند العمل الطوبونيمي على مجموعة من الوسائل هي أدوات علوم أخرى ينتقي منها الباحث الطوبونيمي ما يحدد به رؤيته لدراسة اسم المكان ، إذ يختار اللِّساني البُعد اللغوي الاشتقاقي للأسماء ، ويختار الجغرافي البعد التصنيفي لاسم المكان باعتبار طبيعة موقعه ، ويختار المؤرخ اسم المكان باعتباره شاهدا على حدث ما ،حاملا لحمولة ثقافية اجتماعية وتاريخية للأقوام الذين سكنوا وعمَّروا . وهي بهذا فرع من المعرفة تتجاذبه جلُّ المعارف الإنسانية ، وهي بدورها تستفيد من معطياته في تقديم الحقيقة وتثبيتها أو في نفي معرفة ما . من هذا المنطلق سنقدم عيِّنات لطوبونيما جوهرة الغرب الجزائري تلمسان ، يتجلَّى من خلالها حفظ التاريخ السياسي للمنطقة ، مبرزين كيف أن طابع المكان وحكايته يحيلان إلى طبيعة كل حكم ورؤيته .

الكلمات المفتاحية: طوبونيميا، التاريخ، السياسة، تلمسان

Abstract:

The toponymic work is based on a set of means are other science tools from which the toponymic researcher selects what determines his vision to study the name of the place, the historian chooses the name of the place as a witness to an event, carrying a cultural, social and historical load for the people who lived and lived. Thus, it is a branch of knowledge attracted by most human knowledge, and it in turn benefits from its data in presenting and confirming the truth or in denying knowledge.

From this point of view, we will present samples of the toponima, the jewel of the Algerian west, Tlemcen, through which the preservation of the political history of the region is reflected, highlighting how the character of the place and its story refer to the nature and vision of each ruler.

Keywords: Toponymy; History; Politics; Tlemcen

1. مقدمة:

تشكل أسماء الأماكن شاهدا ثمينا على ماضينا إذ للطوبونيميا علاقة بهجرة الشعوب، وغزو الأقاليم، والاستعمار، والاستقلال، ومراحل التَّعمير، وتحرُّك السكان وتنقلهم والتنوُّع والتنظيم وتطبيق القوانين الجديدة، ومن الحالات التي يتجلَّى فيها البحث التاريخي لاسم المكان حين نصادف منطقة ما تنتمي إلى حيّز لغوي لأسماء أماكن تنتمي إلى لغات أجنبية إذ يتطلب هذا بحثا تاريخيا حتى نحدِّد أصلها وانتماءها.[1] بالإضافة إلى المواقع التي تشهد على حوادث تاريخية وغير ذلك .

أمَّا تلمسان فهي حاضرة عريقة في التاريخ ، إذ تحيل المصادر التاريخية إليها باسم أقادير وبناتها هم البربر من بني يفرن ثم تعاقب عليها الغزاة من الرومان ، والوندال (البيزنطيين) ، ثو عودة للرومان. ثم فتح إسلامي على يد الأمويين ، وحكمها بنويفرن من الزناتيين ، ثم الأدارسة ق9 هـ يليهم المرابطون ، فالموحدون ، فالزيانيون وعمروها قرابة ثلاثة قرون من الزمن حتى عُرفوا بها وعُرفت بهم ،ثم المرينيون ، بعدا الحكم العثماني ثم الاستعمار الفرنسي ، ثم استقلالها كباقي ربوع الوطن . وهي اليوم تعيش بحمولة ثقافية وتاريخية هي مثار إعجاب واعتزاز . وتلمسان حاضرة شُغف بها كل من شدَّ الرحال لها ، وتنافس المؤرخون والأدباء في وصفها. فمن أبرز الذين وصفوا تلمسان في القرن الخامس الهجري، الجغرافي البكري الذي قال عنها في كتاب "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب": "... وهي مدينة مُسوَّرة في سفح جبل شجره الجوز ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة وفيها للأول أثار قديمة وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة وأكثر ما يوجد الركاز في تلك الأثار وكان الأول قد جلبوا إليها ماء من عيون تسعى لوريط بينها وبين المدينة ستة أميال وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ولها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الأفاق ...ولم تزل تلمسان دار العلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن انس رحمه الله"...

وفي القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي): وصف الشريف الإدريسي تلمسان في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" فقال : "... وتلمسان مدينة أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين وعلى هذا الجبل حصن بناه المصمودي قبل أخذه تلمسان ولم تزل المصامدة قاطنين به إلى أن فتحوا تلمسان وهذا

[1] - -foudil cheriguen-toponymie algerienne des lieux habites ,p36

الوادي يمر في شرقي المدينة وعليه أرجاء كثيرة وما جاورها من المزارع كلها مسقي وغلتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة ولحومها شحيمة سمينة وبالجملة إنها حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومرابح تجاراتها ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالا"...

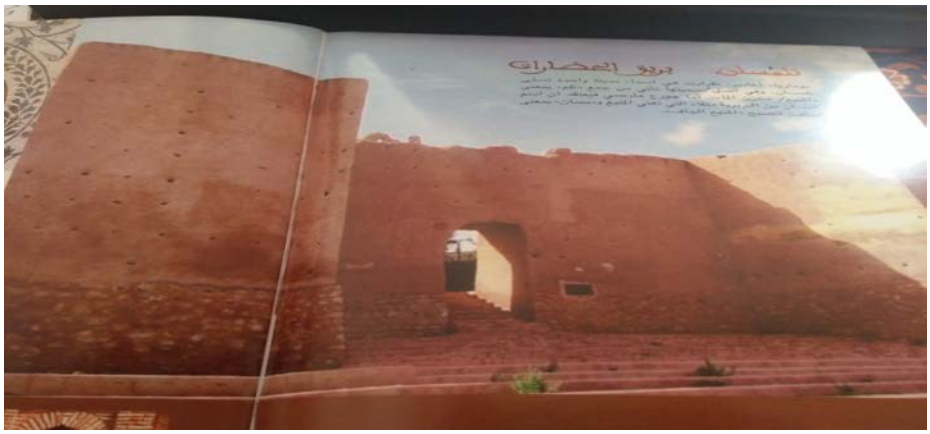
"أما صاحب " الاستبصار في عجائب الأمصار" ، وهو مؤلف مجهول من القرن السادس الهجري، فقد ترك لنا الوصف التالي لتلمسان حيث قال: "مدينة تلمسان: مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وهي في سفح جبل أكثر شجره الجوز، وكان لها ماء مجلوب من عمل الأوائل من عيون يسمى بوريط، بينها وبين المدينة ستة أميال، ولها نهر كبير يسمى سطفسيف . وكانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر. وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم، ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها... ومدينة تلمسان مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين"...

ولم تغب عن ذكر ياقوت الحموي وهو من علماء النصف الثاني من القرن السادس والثلث الأول من القرن السابع للهجرة فقد ترك لنا في "معجم البلدان" وصفا لتلمسان في العهد الموحدي حتى وإن لم يزرها، فقال عنها:

"تلمسان: بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها المسلمون ملوك المغرب واسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس واسم القديمة أقادير يسكنها الرعية فهما كالفسطاط والقاهرة من ارض مصر ويكون بتلمسان الخيل الراشدية لها فضل على سائر الخيل وتتخذ النساء بها من الصوف أنواعا من الكنابيش لا توجد في غيرها ومنها إلى وهران مرحلة ويزعم بعضهم أنه البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في القرآن سمعته ممن رأى هذه المدينة، وينسب إليها قوم ، منهم أبو الحسين خطاب بن أحمد بن خطاب بن خليفة التلمساني ورد بغداد في حدود سنة 520هـ كان شاعرا جيد الشعر قاله أبو سعد."

فتاريخ تلمسان عريق ولها صيت منذ قديم الزمان ، ولعل تاريخها الحافل وماخلّفه من عبر وآثار ، كان واحدا من أسباب شيوع صيتها وبهائها . ومن هنا سنعرج على بعض أماكنية تلمسان والتي تروي لنا الكثير من السياق التاريخي للحاضرة والكثير من الاحتفاء بها.

2. طوبونيميا تلمسان الحاضرة وتاريخها السياسي



- صورة لبعض الأثار المتبقية من مدينة (بوماريا، أغادير ، تقرارت، تلمسان)

المصدر: تلمسان حضارة وتاريخ ، منشورات مديرية السياحة والصناعة التقليدية لولاية تلمسان .

2.1. تلمسان

وردت تسمية تلمسان في معجم البلدان: تِلِمْسان: بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان، بالنون عوض اللام.[2] وتلمسان : كلمة زناتية محليَّة، مركبة من لفظتين هي "تلم" ومعناها تجمع و"سين" ومعناها اثنان، أي أنها تجمع بين التلِّ والصحراء كما شرح ذلك يحي بن خلدون عندما قال: "دار ملكهم في وسط بين الصحراء والتل، وتسمى بلغة البربر تلمسان."[3] ويستند ابن خلدون في تفسير هذا إلى شيخه العلامة، أبي عبد الله الأبلي (ت757هـ/1356م) الَّذي كان متضلعا في لغة زناته وحافظا للسانهم.[4]

وينطقها البعض "بتلشان" وهي لفظة مركبة من "تل" ومعناها لها و"شان" أي لها شأن،[5]ويذهب أخوه عبد الرحمن إلى أن تلمسان مركبة من كلمتين وتعني أنها تجمع بين البر والبحر. [6] ويرى بعض الباحثين بأن كلمة تلمسان صيغة جمع لفظة البربرية "تلماس" ومعناها جيب ماء أو النبع (الغدير) بالتعبير المحلي.

---

[2] - معجم البلدان، ص51/2.

[3]- يحي بن خلدون، بغية الرواد، ص85/1

[4]-نفسه، 85/1

[5]- نفسه، الصفحة نفسها.

[6] - ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان، مؤسسة جمال، بيروت، لبنان، 1ط،1979، ص156/7-157.

وقد احتفظت لنا بعض النصوص التاريخية بهذا الاسم منذ القرن الأول الهجري، السابع ميلادي، وفي هذا الصَّدد يقول ابن خلدون:" اختطها (أي تلمسان) بنو يفرن لما كانت مواطنهم ولم نقف على خبرها، فيما قبل ذلك ولم نقف بها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق، بأن أبا مهاجر الَّذي ولي إفريقية بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثانية، فتوغل في ديار المغرب ووصل إلى تلمسان. "[7]

إذا فقد وردت لفظة تلمسان لأول مرة عند المؤرخين المسلمين لمَّا تحدَّثوا عن حملة أبي مهاجر دينار (681م) لبلاد المغرب، والَّتي استطاع فيها الوصول إلى مدينة تلمسان،[8] وذكرها الرفيق القيرواني حينما تحدث عن أعمال عبد الرحمن الفهري وحروبه (127-137هـ/745-755م) في بلاد المغرب الأوسط وتوسعه نحو مدينة تلمسان.[9]

ويذكر ياقوت الحموي شيئا من خصائص تلمسان فيقول :" تلمسان بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسوَّرتان، بينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثَّمون ملوك المغرب، واسمها **تافرزت**، فيه يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة **أقادير**، يسكنها الرعية، فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر، ويكون بتلمسان الخيل الراشدية، لها فضل على سائر الخيل، واتخذت النساء بها من الصوف أنواعا من الكنابيش لا توجد في غيرها، ومنه إلى وهران مرحلة، ويزعم بعضهم أنه البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في القرآن، سمعته ممن رأى هذه المدينة .[10]

فتلمسان إذن عرفت بثلاثة أسماء تشكل كل منها فترة تاريخية محددة فإضافة إلى الاسم الجامع لجميع أجزاء المنطقة وهو تلمسان، فقد سميت بـ:أقادير وبـ: تقرارت .

---

[7] - العبر، ص156/7.

[8]- ابن خلدون، العبر، 156/7

[9] - أبو راس المعسكري، د، ورقة 48، نقلا عن: فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، دار موفم للنشر، الجزائر، 2002

[10]- معجم البلدان، ص 52/2.

وهي على هذه الحال معشوقة الكثيرين ، وهاهو ابن خميس ابن خميس بعد مفارقته بلده تلمسان –سقى الله أرجاءها أنواء نيسان- كثيرا ما يتشوق لمشاهدتها، ويتأوه عند تذكر معاهدها، وهي شيمة الأحرار في حنينهم إلى أوطانهم، وللدهر إحلاء وإمرار.[11]

F **يقول:**

تلمسان لو أن الزَّمان بها يسخو مُنى النَّفس لا دار السَّلام ولا الكرخ

2.2. **أگادير : أو أقادير أو أجادير :**

هي المدينة القديمة في تلمسان قام ادريس الأول بن عبد الله بتوسيع عمرانها سنة 174هـ/790م.[12] وأكادير لفظة فينيقية على الأرجح، تتموقع على هضبة قليلة الانحدار تنهض من السهل وتشرف عليه من ناحيتي الشمال والشرق، والظاهر أن كلمة أكادير يعادلها باللغة العربية مفهوم الجدار بحسب بعض المصادر.[13]

يقول ابن مسايب :

راد كيــف فعل بيها ما لها اختـار سابق لها في الأزل هاكذا تكون

ضعفت أخلاها الهول مدينة الجدار

مابقى فيها باش تعاند بين المدون

3.2 تقرارت:

مصطلح استعمل للدلالة على المدينة الجديدة الَّتي ألحقت في فترة التوسع بالمدينة القديمة أكادير، وتقرارت كلمة بربرية بمعنى المعسكر والمحلَّة. [14] ويذهب الأستاذ عبد الوهاب بن منصور

[11] -أزهار الرياض، ص307/2

[12]- حسن الوزان، وصف أفريقية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية لتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1980. 17/1.

[13] - محمد بن عمر الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط ، 1985.

[14] - نفسه، ص 30.

إلى أن الاسم "يعني باللهجة المحليَّة الحصن أو الصَّخرة المنيعة، وأنه ربما كان مشتقا من لفظ أكادير أي جدار المدينة الحصين. [15]"

بنى هذه المدينة المرابطون فصارت هي الأخرى من ضمن عمران مدينة تلمسان في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي. والجدير بالذكر أن تقرارت نشأ في بداية الأمر كحي سكني جديد أ إذ تبنى ابن تاشفين في الجهة الجنوبية الغربية أقادير حيا سكنيا يأوي فيه أشراف المرابطين من قبيل صنهاجة فكان حي تقرارت ، ومنه قدر أن تكون النواة لمدينة تلمسان الجديدة .

4.2 **المشور:**



قلعة المشورواحدة من التحف المعمارية ذات التاريخ العريق في تلمسان المدينة

كلمة عربية مشتقة من الشورى، والمقصود بالمشور: المكان الذي يعقد فيه أمير المسلمين السلطان، اجتماعاته مع وزرائه وكتابه وضباطه، لمناقشة شؤون الدولة والتشاور في أمور الرعية وقت السلم ووقت الحرب.[16]

فأصل الكلمة عربي وهو مشتقّ من الشّورى فمعناه الكلام الذي يتشاور فيه السلطان مع وزراءه بحيث لا يستأثر بشيء من شؤون الدّولة دون مراجعتهم ليرى رأيهم فيه.[17] أخذًا من قوله تعالى ﴿وشاورهم في الأمر﴾.

[15] - تلمسان تحليل لغوي تاريخي لأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب الأوسط،.09

[16] - تلمسان في العهد الزياني، ص115.

وقلعة المشور بتلمسان يعود تاريخ بناءها الى القرن 12 ميلادي على أنقاض المعسكر الذي أنشأه يوسف بن تاشفين المرابطي وبنى القلعة يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية سنة 1145ميلادي تمتاز بأسوارها الشاهقة وتمتلك بابين شمالي وجنوبي وتضم داخلها قصر المشور الملكي الزياني والمسجد الملكي الزّياني وقصر مجلس الشورى وبعض الحمامات الموريسكية من العهد الزياني ويحف هذا كله جملة من الحدائق.

أسوار القلعة في شكلها الحالي أسَّسها السُّلطان الزياني أبو عباس أحمد المتوكل سنة 1462 الى 1475. و ساحة المشور فيها حصن، يعتبر من المعالم الرّئيسية لتلمسان وكان المركز الرّئيسي لسلاطين هذه المدينة، وبهذا الموقع أقام الأمير المرابطي معسكره تاقرارت لحصار أقادير في منتصف القرن الحادي عشر ثم نقل إليه يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية مقر إقامته من القصر القديم، واتخذه أحفاده من بعده مقرا لحكم دولتهم حيث شيّدوا به المسجد و المنازل والقصور (دار الملك، و دار السرور، و الدار البيضاء و غيرها)، و خاصة في عهد السلطانين أبي حمو موسى الأول و عبد الرحمان أبو تاشفين، بعد ذلك رفع سورها و حصّن قصورها السلطان أبو العباس أحمد ثالث عشر حكامهم، اتخذته حامية الجند التركي الوجاق حصنا لها، وحصّن بداخله الكراغلة. بداية من سنة 1670 دخله الجيش الفرنسي سنة 1836 بعد معاهدة تافنة. وأقام بالمشور الأمير عبد القادر من 1837 إلى.1842

منذ ذلك الوقت اِحتله الفرنسيون وحطّموا ما بقي من قصور،[18] لم يبق من هذا الصّرح إلاّ أسواره الشامخة، أمّا ما كان به من دور وحدائق وغيرها من المتنزهات فقد انطمست معالمها .[19] والظاهر أنّ القصر السلطاني، يتميز عن غيره من القصور و الدور بشكله وسعته ومحتواه، ففي عهد اِزدهار الحضارة الزيانية، عُرفِ بما يسمّى" ثلاثة عجائب المشور"، أحدهم" المصحف "الذي خطّه بيديه الخليفة عثمان، وكان غطاءه مخطّطا بالذّهب ومزيّنا باللّؤلؤ والياقوت، وكذا الساعة التي كانت تعدّ أعجوبة الزّمان فريدة من نوعها تدعى" مقانة"، وهي من صنع فارسي تعود

[17] - ابن منظور – لسان العرب – ا لمجلد الثالث – مادة" شور"، ص510

[18] - Opcit, p 106.

[19] - الحاج محمد بن رمضان شاوش-باقة السّوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ص2 .

للقرنXIV على يد المهندس المبدع ابن الفحام، موضوعة أمام العرش الملكي، وحتّى شجرة من الفضّة نادرة المثال ،تصدر غناءً تجلب إليها العصافير.[20]

إن قلعة المشور هي شكل من أشكال رفع يغمراسن بن زيان من شأن المدينة ، بحيث اتخذها عاصمة لدولته في المغرب الأوسط . ليمتد محيطها السكني والتجاري لمساحات كبيرة .

5.2 **القلعة :**

القَلْعَةُ لغة: الحصن الممتنع في جبل، وجمعها قلاع وقَلَعٌ وقِلَعٌ. قال اِبن بري: غير الجوهري يقول القلَعَةُ، بفتح اللاّم الحصن في الجبل وجمعه قلاع وقَلَعٌ وقِلَعٌ، وقيل. القَلعَةُ بسكون اللاّم: حصن مشرف وجمعه قلوع .

يعرف هذا الحيّ بالقلعة العليا والقلعة السفلى، وكان يفصل بينه وبين حيّ سيدي شاكر شارع يدعى فيكتور هيڤو المسمّى حاليا شارع شاوي بودغن . لا تفيدنا المصادر بمعلومات كثيرة عن هذا المكان، إلاّ أنّه ذكر من قِبَل بعض الكتّاب، فالقلعة القصر كانت لأمير يدعى ابن جاهل، فهو مكان كان في غاية الأهميّة بالنسبة لمدينة تلمسان، تحاط به أشجار وسواقي تصل حتّى جبل تيرني كما كانت توجد به آثار رومانيّة. وقد ذكر بأنّه تشييد مصمّم بطابع فريد من نوعه يعود إلى العهد الزّياني وسمّي كذلك لوجود حصن مرتفع يعلو بخمسة بروج وسط سياج به أسوار محاطة ويسمّى بالقلعة العليا.أمّا القلعة السفلى فكانتا حضيرتين محاطتين بأسوار وأحجار منحوتة استعملت كمصلّى بعد الاستعمار ولم يبق منه إلاّ جدار يحيط بمدرسة سيدي شاكر.

6.2 - **درب مسوفة :**

[20] -Louis Abadie-Tlemcen au passé retrouvé, p19.



صورة لدرب مسوفة.

يقول بن سهلة:

من ثمة عول * درب مسُّوفة ليه أدخل

بالاك لا تغفل * حوس بعنيك القران

الزين الكامل * يادرى باقي كيف زمان

يقع بتلمسان العليا، لا تذكره معاجم البلدان أو معاجم اللغة والأرجح أن (مسوفة) لفظة أمازيغية تدل على قبيلة بربرية ترقية منحدرة من قبيلة صنهاجة. إلا أن الرحالة العرب قد ذكروها وصفها ابن عقال بأنها تدل على بدو رحل يتوزعون بين منطقة أو ذغست audoghost وسجلماسة. كما ذكر الإدريسي في القرن الثالث عشر مدينة أزوغي azoghi، الَّتي عمَّر فيها بنو مسوفة، والتي تبعد مسافة ثلاثة عشر يوما سيرا على الأقدام عن سجلماسة ، ويعد الرحالة ابن بطوطة أول من ذكر هذه القبيلة التي استقرت بتاكدة في شمال غاو وتمبوكتو وضواحيها في القرن 14 ، والدرب المقصود هو من الأزقة المشهورة في تلمسان بحكم قربه من السوق العامة المسماة القيصرية .

7.2 باب إيلان :

يقول الشاعر :

عقد بوخانة

أدركها من باب إيلان

لا يزال أهل تلمسان يعرفون باب إيلان ويطلقون هذا الاسم على حي من أحياء المدينة، وقد حرَّف الفرنسيون هذا الاسم عندما أطلقوا على الشارع اسم "مايلين" بوسط المدينة، والباب يقع غرب المسجد الجامع في اتجاه باب كشوط [21].

وهناك رواية تقول أن أصل كلمة (إيلان) هو (جوليان) وهو اسم أمير سبتة ومليلة زمن طارق بن زياد زار تلمسان لعقد مفاوضات مع موسى بن نصير لدفع اعتداءات القوط، وذلك حوال 730م، وقيل أن الموضع الذي نزل فيه هو ما يعرف اليوم باب إيلان.

8.2 - **العباد :**



جزء من سقف المجمع العلمي الذي يضم رباط العباد (عباد سيدي بومدين ، المسجد ، المدرسة ، دار السلطان)

اسم مشتق من العبادة لأنه جمع عابد، إذ كان في بادئ الأمر رباطا يجتمع فيه النسَّاك والزهاد بقصد الانقطاع لعبادة الله.[22]

وهو يعد قرية جزائرية قديمة تقع على بعد كيلومترين جنوب شرق مدينة تلمسان. قديما كانت القرية تكوَّن من شارعين أحدهما العباد الفوقي وهو الموجود حاليا، والعُبَّاد السفلي والَّذي تمَّ دمجه في توسعة مدينة تلمسان حاليا، من أشهر معالمها: مبنى العُبَّاد والمسمَّى بمسجد وضريح سيدي بومدين بني سنة 739هـ في عهد السلطان أبو الحسن المريني.

[21] -wet gmarcais , les monuments arabes , p134

[22] - نفسه، ص278.

9.2- ضريح أبي مدين :

ضريح إمام العارفين سيدي أبي مدين شعيب التلمساني .

يقول الشاعر الأندلسي أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي قصيدة منها الأبيات التالية:

ولتغد للعبّاد منها غدوة تصبح هموم النفس عنك بمعزل

وضريح تاج العارفين شعيب ازره هناك فحبذا ذلك الولي

فمزاره للدين والدنيا معا تمحي ذنوبك أو كروبك تنجلي.

سيدي بومدين أو الشيخ شعيب أبي مدين التلمساني. أحد أعلام الصوفية في تاريخ المدينة. أقام بفاس وسكن ببجاية في الجزائر وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور وتوفي ب تلمسان سنة 594 هـ. يعد الجد الأكبر لآل مدين الأسرة الصوفية العريقة بمصر أما لقبه أبو مدين التلمساني فنسبة إلى ابنه مدين الأول ونسبة لتلمسان المدينة التي توفى بها.

يقع مسجد سيدي بومدين في حي العباد الذي يتميز كغيره من الأحياء المغاربية العريقة بأزقته الضيقة المتصاعدة، وهو نفسه الحي الذي يحتوي على ضريح سيدي بومدين و مدرسة العباد التي تشكل مزارا للسياح والباحثين نظرا للدور الذي لعبته في الثقافة والتعليم واستقطاب الطلبة والعلماء من كل مناطق المغرب العربي سواء المغرب الأدنى أو الأقصى، وممن درس بهذه المدرسة من العلماء المشهورين العلامة عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله.

تعتبر مئذنة جامع سيدي بومدين ثاني مئذنة مرينية بتلمسان، وقد أمر ببناء المسجد ومئذنته السلطان أبي الحسن المريني عام 248 هـ/ 0441 م كما تدل عليه الكتابة الأثرية التي توجد في إطار المدخل الرئيسي للمسجد.

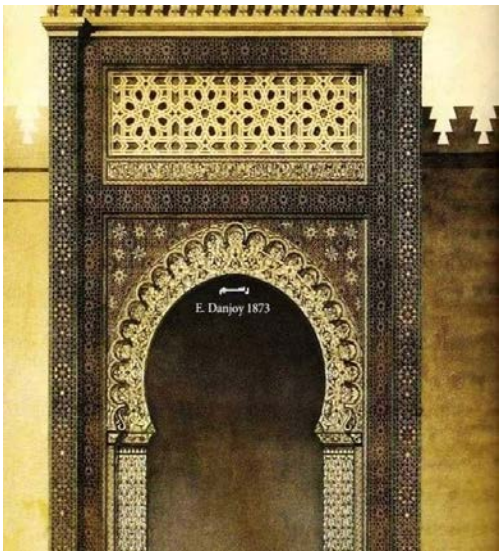
شيّد هذا الضريح بأمر من الأمير الناصر بن المنصور الموحدي بعد وفاة العالم الفقيه أبي مدين شعيب في سنة 594هـ بالقرب من قرية العبّاد. ويشكل الضريح جزء من أربعة هياكل يضمّها مجمع سيدي أبي مدين وهي: الجامع والمدرسة والضريح ودار السلطان. ويوجد باب الضريح مقابل باب المسجد، يؤدي إلى مدرج ينزل بواسطته إلى قبر الشيخ أبي مدين شعيب. وهذا الباب صغير ذو قوس منكسر يحيط به إطار من الفسيفساء أو الزليج ذي الألوان المختلفة، وتعلوه شرعة تستند على عمودين صغيرين من الخشب لهما تاجان بديعا الشكل ،وفي أسفل الدرج توجد مقبرة على اليمين تضم رفات علماء من أهل تلمسان، ثم يتم الدخول إلى صحن مربع الشكل تحيط به أروقة على شكل حدوة فرس في غاية الإتقان، فوقه قبة محمولة على قناطر تحملها أربعة أعمدة من المرمر ذات تاجين، قيل أنها جلبت من دار الفتح بالمنصورة بعد تخريبها من طرف سكان تلمسان.

أما أرضية الصحن وجدرانه فهي مغشاة بالفسيفساء الملونة تتخللها شواهد من الرخام لقبور بعض أعلام المدينة، وعلى يسار مدخل الصحن توجد بئر عميقة ذات ماء عذب، ويوجد ضريح أبو مدين على يمين مدخل الصحن. وهو باب صغير فوقه إطار ذو حواشي جبسية رسمت عليها خطوط عربية تعود إلى الفترة التركية. وفي داخل الضريح غرفة مربعة يعلوها سقف ملوّن جميل، هرمي الشكل في الخارج ومقسم داخليا إلى عدة صفحات. يدخل الضوء إلى هذه الغرفة من أربعة نوافذ صغيرة تضئ قبري الشيخين أبي مدين شعيب على اليمين والفقيه ابن عبد السلام التونسي المتوفى عام 589هـ بالعباد على اليسار. وصار هذا الضريح مقصدا للزوار من أهل تلمسان ومن خارجها للعبادة بالجامع والتعلم بالمدرسة والتبرك بالضريح.

10.2 – المدرسة اليعقوبية :



المدرسة اليعقوبية واحدة من منارات العلم في تلمسان



صورة لمدخل المدرسة اليعقوبية، المنارة العلمية والتحفة المعمارية التي أبادها الاستعمار الفرنسي

تجد هذه المدرسة بجوار مسجد الشيخ ابراهيم المصمودي، شرق مسجد أبي الحسن وجنوب غرب المشور في حي باب الحديد. شُيِّدت هذه المدرسة بأمر من الأمير الزياني أبو حمو موسى الثاني سنة 763هـ بعد أن تربَّع على عرش تلمسان، خصَّصها لطلاب العلم وجعل فيها ضريحا إكراما لأبيه الأمير أبي يعقوب وعميه الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت. وقد أخذت بذلك المدرسة اسم والد السلطان.

فقدت هذه المدرسة الكثير من ملامحها القديمة وأصبحت جزءا من مسجد الشيخ ابراهيم المصمودي ومن الضريح، فيصعب بذلك وصف أقسامها ومرافقها. وذكرها التنسي بقوله:

"وله [أبو عبد الله المعروف بالشريف التلمساني] بنى مدرسة، حين توفي والده في تلمسان، ودفن بباب إيلان ثم نقل إلى جوار أخويه السلطانين أبي سعيد وأبي ثابت، فلما كملت المدرسة نقلوا ثلاثتهم إليها، واحتفل بها وأكثر بها الأوقاف، ورتب فيها الجرايات.

11.2 – المدرسة التاشفينية :

بنيت هذه المدرسة بأمر من الأمير أبي تاشفين في سنة 725هـ حسب البعض، غير أنها طمست آثارها ولم يبق من ذكرها إلا الاسم، وقد كانت هذه المدرسةو لا زالت قائمة إلى غاية 1873م مع محافظة على شكلها الأصلي، غير أن السلطات الاستعمارية الفرنسية قامت بإزالتها بغرض تهيئة ساحة عامة وبنيت بدلها دار البلدية الحالية.

جاء ذكر المدرسة التاشفينية عند التنسي عند وصفه لأعمال أبي تاشفينية بقوله :.. ."وحسن ذلك كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظر، التي بناها بإزاء الجامع الأعظم، وما ترك من شئ مما اختصت به قصوره المشيدة، إلا وشيد مثله بها." وذكر الفرنسي جورج مارسي Georges MARCAISأن: "...شكل المدرسة كان جميلا ومتميزا ... وكانت التغليف بالسيراميك يلعب دورا هاما في تزيين محيط الأبواب، وتبليط القاعات ... وكانت توجد أمام مصلاها فسقية من الرخام تحفها زخارف نباتية متشابكة مرهفة، وقد حملت قطع فسيفساء الخزف إلى متحف تلمسان ومتحف الجزائر، وحملت قطع أخرى إلى متحف اللوفر بفرنسا."...

وقد ورد شعر مجهول قائله حكاه صاحبه على لسان المدرسة التاشفينية واصفة نفسها:

انظر بعينك بهجتي وسنائي * وبديع إتقاني وحسن بنائي

وبديع شكلي واعتبر فيما ترى * من نشاتي بل من تدفُّق مائي.

جسم لطيف ذائب سيلانه * صاف كذوب الفضة البيضاء

قد حفَّ بي أزهار وشي نمِّقت * فغدت كمثل الرَّوض غبَّ سماء.[23]

[23] - المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1968 ص47/6.

وقد كان لهذه المدرسة واجهتان تشتملان على بابين في وسطهما، كما كانت تحتوي على قاعتين للصلاة، عرضها أكبر من عمقها بمرتين ونصف، وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام عن طريق قوسين عموديين على جدار القبلة.

القسم المركزي، والذي يوجد في مقدمته المحراب يعلوه سقف هرمي الشكل قاعدته مثمنة ومنتظمة الزوايا. أما الأقسام الأخرى الجانبية والمستطيلة، فهي مغطاة بسقف هرمي ولكنه يرتكز على قاعدة مثمنة غير منتظمة الزوايا.

وفي مقابل المصلى، كانت توجد قاعة مربعة مقسمة إلى قسمين عن طريق أقواس قبالة جهة الساحة، يعتقد مارسي أنها كانت تستعمل كقاعة للدراسة أو مصلى إضافي. وموازاة للجهة الشرقية كانت توجد قاعتان مستطيلتان لعلهما كانتا تستعملان كمراقد للطلبة.

أما المئذنة، فقاعدتها مستطيلة وتقوم في الزاوية الجنوبية الغربية من المدرسة، تطل على ساحة كبيرة يكتنفها رواق ويساوي طولها مرتين عرضها.

12.2 – مسجد المنصورة :



قلعة المنصورة حصن عسكري يعود للحكم المريني، تطورت فيما بعد لتتحول إلى مدينة ، ولم يتبق منها إلا جزء من الأسوار ومئذنة المسجد

تقع مدينة المنصورة غرب تلمسان، يبلغ محيطها 4128م ، ومساحتها الاجمالية 1045200/متر مربع ، أسسها يوسف بن يعقوب المريني كمعسكر لقواته التي فرضت الحصار على مدينة تلمسان اكثر من ثماني سنوات[24]

كانت المنصورة في ذلك الوقت مسوَّرة بها عدد من المنشآت كالحمامات ، والمتنزهات ، والطرق ، والشوارع ، والقصور ، والمساجد . من بين هذه المساجد مسجد المنصورة الَّذي شيَّده السلطان أبو يعقوب يوسف المريني عام 702هـ/1203م ، حيث تشير الكتابات التذكارية المنقوشة في محيط المدخل الرئيسي إلى أن السلطان أبو يعقوب يوسف المريني قد مات قبل الانتهاء من هذا البناء . ونصُّها كالتالي :" الحمد لله رب العالمين ، والعافية للمتقين ، أمر ببناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المقدس المرحوم أبو يعقوب يوسف عبد الحق رحمه الله .[25]

فهذا جزء يسير من طوبونيما تلمسان ، المخبرة والراوية لجزء من التاريخ السياسي للمنطقة ، ومعاينة تلمسان مواقعيا تحيل على المزيد من المعلومات حول الحقبات السياسية المذكورة ، وحول حقبات سياسية وتاريخية أخرى لم يسعفنا الوقت لتجميع طوبونيمياتها .

والشاهد أن طوبونيما تلمسان تقدم روايات تاريخية حيَّة حول إنجازات الدول التي تعاقبت على حكم تلمسان ، وعلى توجهاتهم وريتهم لتكوين المدينة ولدورها في المنطقة وفي توطيد حكم كلٍّ منهم .

3- خاتمة:

- تلمسان حاضرة جميلة والمجال الطوبونيمي فيها غني جدا ، وما تم تقيدمه هو عيِّنات تعكس أبعاد حضارية وثقافية للمنطقة .
- يظهر طابع المكان توجه الدولة التي أسِّس في عهدها ورؤيتها لتكوين المدينة الجغرافي والسكاني والأمني.

[24] - يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،دت ،ج1،ص217

[25]- فوزرية سعاد بوجلابة ، فايزة براهيمي ، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ديسمبر 2022، ، المجلد 16 ، العدد 02 ،ص480.

- خلَّدت بعض آثار تلمسان أسماء حكام ودول مرت بها ، ولعل أشهر آثار تلمسان المنصورة ، شاهد على الحقبة المرينيَّة ، وهو دال على المنطقة بالرغم من أن تلمسان تنسب في الغالب للزيانيين .
- هناك الكثير من المناطق التي محى رسمها الزمن والتي تحتاج إلى الصيانة، وهي تقدم معلومات تاريخية مهمة حول المنطقة وتاريخها .
- يتميز البناء المعمار لكل دولة سياسية حكمت تلمسان بطابع مهم والعمل فيها هذا المجال يتقاسمه علم التاريخ والمهندس المعماري وعالم الأثار والحفريات الطوبونية .وهو عمل يجب أن تنوط به الجهات المختصة

4- بيبليوغرافيا:

1- قائمة المصادر:

1. ابن خلدون يحي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان، مؤسسة جمال، بيروت، لبنان، 1ط،1979،
2. ابن خلدون، بغية الرواد. ابن خلدون يحي ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: ألفرد بال،الجزائر، 1911-1913.
3. حسن الوزان، وصف أفريقية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية لتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1980.
4. الحموي ياقوت، معجم البلدان، تح: عبد الغني الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
5. شاوش الحاج محمد بن رمضان- باقة السّوسان في التعريف بحاضرة تلمسان.
6. المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1968 .
7. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ضبطه وحقه وعلق عليه : مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، 1359هـ/1940م .

2- قائمة المراجع:

1. ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، دط .

2. أبو راس المعسكري، د، ورقة 48، نقلا عن: فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، دار موفم للنشر، الجزائر، 2002
3. تلمسان تحليل لغوي تاريخي لأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب الأوسط،..
4. محمد بن عمر الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط
5. يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،دت .

3- المراجع الأجنبية والمترجمة:

1. foudil cheriguen-toponymie algerienne des lieux habites.....
2. wet g marcais , les monuments arabes .....
3. Louis Abadie-Tlemcen au passé retrouvé.....

4- المجلات والدوريات:

F فوزرية سعاد بوجلابة ، فايزة براهيمي ، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية ، المجلد 16 ، العدد 02 ديسمبر 2022، ص480.